

إرهاصات الطب النفسي الإيقاع الحيوي التطوري (2)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD070517.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/05/07

السنة العاشرة - العدد: 3536



مقدمة:

مازلنا مع هذا العمل - عندما يتعري الإنسان - الذي كتب من خمسين عاما يعلن عمق وأصالة الفكرة ،
ويبرر ما ترتب عليها من فروض



المقتطف (الخامس) جزء آخر من الحوار من فصل: "الشعلة

والحريق" أيضا...)

الحكيم (الطبيب)

- بل إنها محنة على الطريق.. إن المبدأ لا يعيبه تأخر تحقيقه أو صعوبة تطبيقه؛ كل إنسان لابد أن يأكل
ويعيش، لابد للحق أن ينتصر، لابد للحرية الحقيقية أن تزدهر، فقط... الوقت، الإشكال الآن هو أن إنسان الأمس
بخوفه وضعفه ونقصه، يطبق اليوم.. نظرية الغد، فينشأ التضارب والفسل، ولكن الفشل في التطبيق لا ينبغي أن
يفقدنا الثقة في المبادئ.. وفي الغد.. وفي التطور.

المريض - إذن ماذا؟

- أنت لا تملك إلا هذا.

- هذا ماذا؟

- أن تستمر.

- لم أعد أستطيع.

- الكيمياء تهديء الألم وتحافظ على قوة الجمرة وإن خفُتَ بريقه مؤقتا.. ثم تستمر.

- وكيف أطمئن ثانية بعد أن هزنى الخوف والشك

- ليس هناك بديل.

- وما أدراك

- خبرتى وعلمى وحبى للحياة الذى لا يهتز.

- هل تحب الحياة، فعلاً؟

- نعم

- حتى ما تناثر فيها من الشطايا المنتفخة بالعفن، مثلى

- وبخاصة الشطايا المنتفخة بالعفن، فوراها طاقة الانسان المتطورة الخلاقة.

- ألن تتخلى عنى؟

- لا أستطيع

- مهما أصابتك شطاياى؟

- مهما حدث

إنها محنة على الطريق.. إن
المبدأ لا يعيبه تأخر تحقيقه
أو صعوبة تطبيقه

كل إنسان لابد أن يأكل
ويعيش، لابد للحق أن ينتصر،
لابد للحرية الحقيقية أن
تزهدهر

إن المبالغة هي تقديس
معطياته (العلم) دون
تمحيص، وعبادة أرقام بطريقة
عمياء، قد يزرعش الطريق
ولكنه ليس دائما دليلا على
سلامته وصحته

علينا أن نعرفه قصوره
(العلم) حتى نستكمل أبعاده
وإلا انزلقنا إلى سبيل زال
ورغم بريقه، قد يعوق تطور
الإنسان ونحن نتصور أنه
يزين حاضر حياته

لو نظر الشباب إلى من
سبقوهم في طريق النجاح
وحاولوا أن يحوصوا في
أعماقهم ليعرفوا مدى
تحقيقهم لأهدافهم لأتَعْظوا
قبل فوات الأوان
مهما خافوا من الألم أن
يهدد سكينتهم الراكدة فهم

- وهل أستطيع؟

- وهل تستطيع غير ذلك؟

- لا أظن

المقتطف السادس: مدخل إلى فصل: "العلامة"

قال الحكيم:

-ليس على العلم خوف ولا في حديثنا عنه حرج، ولا ينتقص منه أن يمر أحد رهبانه بأزمة وجود، وعلى أية حال فإن المبالغة في تقديس معطياته دون تمحيص، وعبادة أرقام بطريقة عمياء، قد يتركش الطريق ولكنه ليس دائما دليلا على سلامته وصحته، وعلينا أن نعرف قصوره حتى نسكتمل أبعاده وإلا انزلقنا إلى سبيل ضال رغم بريقه، قد يعوق تطور الانسان ونحن نتصور أنه يزين حاضر حياته، وحكاية اليوم لا تنتقص من العلم بل تزيد من إمكانياته، ولا تتفى ضرورته بل توسع آفاقه،، وهي حكاية "العلامة" الذي كاد يكفر بعلمه حين اهتز كيانه.

قال الفتى:

- وكيف كان ذلك؟

.....

(قرب نهاية الحوار بين الطبيب والعالم الذي تصدّع وهو يرفض الزيف: من فصل "العلامة")

.....

-تعلمنى نظريات جديدة غير مضمونة النجاح، لقد شبعنا نظريات.

الطبيب (الحكيم):

-بل تحس بنبض الصحة من واقع خذّ وهات

-على ألا أرجع للكتب ومعمل الأبحاث.

-بل حين ترجع للكتب ومعمل الأبحاث سوف تملؤها من فيض خيرة

حياتك، وجسارة صدقك.

-أنت تحلم

- أنا أمارس هذا الحلم

- عندهم حق

- من؟

-الذين يقولون أنكم مثلنا

- حتى نفهمكم؟

- ومن يفهمكم؟

- أنتم

- لغة خاصة في سراديب طبية !! ؟

- نخترق بها الحواجز

- أى حواجز؟

- كل معوقات التطور

- ولن تتركنى؟

- لا أستطيع

سيعلمون هول المصير الكالع
ممن سبقتم، لذلك فهم قد
يتعلمون أن للثورات وقت
مناسب في محطات متتالية، لو
فاتهم الانتباه إليها وأضاعوا
فرصهم تباعا فقد لا تلوح لهم
من جديد

ليس عندي بين الأبيض
والأسود ظلال، إما أن نعيش أو
لا نعيش، ليستسلم من شاء،
وليخالف من شاء وليتردد من
شاء، ولكن الذى سيستمر هو
الذى سيختار الحياة ليوثقه
التدهور

هم يختارون البقاء للبقاء سواء
كان بقاء فيه حياة لها صفات
الإنسان أم كان بقاء مؤقتاً
يمائل بقاء أولاد عمومنا
الذين سبقونا وتوقفوا،
يرتضون الحياة التى تشكلت،
الحياة سابقة التجهيز، ولكنهم
لا يشكّلونها

الحياة التى أمنيها هى
الصراع للتطور، وليس فقط
المحافظة على البقاء.

قانون الحياة فرض على
كإنسان أن أكون فى موقع
من المعركة هو المقدمة،
على خط النار

أنا كطبيبى نفسى أرى
الصراع الممثل فى المرض
النفسى يمثل صراع الإنسان

- لماذا؟
- لأننا لا نفرق حتى لو تباعدنا، أنا أحتاجك مثلما تحتاجنى
- تحتاج هذه النفاية البشرية!
- بداخلها طاقة الذرة المتفجرة
- لماذا تحتاجنى؟
- ليزداد البشر واحدا
- يا صلاة النبى
- عليه الصلاة والسلام

ثم (بين الفتى والحكيم)

الحكيم:

ولو نظر الشباب إلى من سبقوهم فى طريق الخداع وحاولوا أن يغوصوا فى أعماقهم ليعرفوا مدى تحقيقهم لأهدافهم لآتَعظوا قبل فوات الأوان، ومهما خافوا من الألم أن يهدد سكينتهم الراكدة فهم سيعلمون هول المصير الكالح ممن سبقهم، لذلك فهم قد يتعلمون أن للثورات وقت مناسب فى محطات متتالية، لو فاتهم الانتباه إليها وأضاعوا فرصهم تباعا فقد لا تلوح لهم من جديد.

قال الفتى :

- أخالك تصعبّ عليهم الحياة.

قال الحكيم:

- ليس عندى بين الأبيض والأسود ظلال، إما أن نحيا أو لا نحيا، ليستسلم من شاء، وليخالف من شاء وليتردد من شاء، ولكن الذى سيستمر هو الذى سيختار الحياة ليوقف التدهور.

قال الفتى:

- ولكن الناس كلهم يختارون الحياة.

قال الحكيم :

- هم يختارون البقاء للبقاء سواء كان بقاء فيه حياة لها صفات الإنسان أم كان بقاء مؤقتاً يماثل بقاء أولاد عمومنا الذين سبقونا وتوقفوا، يرتضون الحياة التى تشكلت، الحياة سابقة التجهيز، ولكنهم لا يشكونها، هم يتسابقون فى حجرة مغلقة مبطنة بالكاوتشوك الطرى فلا يتألمون، ولكن الحياة التى أعينها هى الصراع للتطور، وليس فقط المحافظة على البقاء.

قال الفتى:

-وكأنك تريد القضاء على الإنسان الحالى فى مقابل وهم فى رأسك تزعم أنه ممكن.

قال الحكيم:

-أنا لا أزعم شيئا ولا أتوهم خيالا، ولكن قانون الحياة فرض على كإنسان أن أكون فى موقع من المعركة هو المقدمة، على خط النار، وأنا كطبيب نفسى أرى الصراع الممثل فى المرض النفسى يمثل صراع الإنسان مع أجداده الحيوانات الذين يحملهم بين خلاياه، فالإنسان يحمل كل آثاره القديمة وكل الصفات التى ورثها عن أجداده جميعاً، إلا أنه يتحكم فيها ويوجهها لتخدم صفاته الإنسانية، وهذه الآثار القديمة تثور عليه حين ينساها فيكون المرض، لذلك أنا لا أملك أن أزعم شيئا خاصا مبتدعاً، وإنما وجودى على خط النار يلزمنى بترجيح الغد على الأمس، على أن يستمد الغد قوته من طاقة الأمس، فيصبح إنسان اليوم وحدة متكاملة متناسقة تخدم مرحلة التطور الحالية: لا تنسى التاريخ وهى تصنع المستقبل، وقد كنت فى أول رحلتى مع النفوس المتصدعة أتصور

مع أجداده الحيوانات الذين يحملهم بين خلاياه، فالإنسان يحمل كل آثاره القديمة وكل الصفات التى ورثها عن أجداده جميعاً، إلا أنه يتحكم فيها ويوجهها لتخدم صفاته الإنسانية، وهذه الآثار القديمة تثور عليه حين ينساها فيكون المرض

وجودى على خط النار

يلزمنى بترجيح الغد على

الأمس، على أن يستمد الغد

قوته من طاقة الأمس، فيصبح

إنسان اليوم وحدة متكاملة

متناسقة تخدم مرحلة التطور

الحالية: لا تنسى التاريخ وهى

تصنع المستقبل

كنت فى أول رحلتى مع

النفوس المتصدعة أتصور أن

الطبيب ينبغى ألا يتصور نفسه

مصلحاً أو دافعاً، ولكن بعد

فترة وجدت ذلك امتحاناً

إنسانيتى، فلا يمكن أن

تأتمنى الثورة حتى عندى ثم

يكون كل دورى هو أن

أتهرج عليها... أحجم عن

المشاركة فى توجيهها للغد

لقد قررت أن أعيش، وأن

أشارك، وأن أرجع كفة الغد،

ما أتيت لى الفرصة لذلك

هم الذين علمونى معتقداتى

(المرضى)، هم الذين

جعلونى أو من بالإنسان وبالغد

أن الطبيب ينبغي ألا يتصور نفسه مصلحاً أو داعية، ولكن بعد فترة وجدت ذلك امتهانا لإنسانيتي، فلا يمكن أن تأتيني الثورة حتى عندي ثم يكون كل دورى هو أن أتفرج عليها... أحجم عن المشاركة فى توجيهها للغد.. لا، لقد قررت أن أعيش، وأن أشارك، وأن أرجح كفة الغد، ما أتحت لى الفرصة لذلك.

قال الفتى:

-ألا تخشى أن تفرض مُعتقداتك على المرضى أو قل: على الثائرين إن شئت.. سمهم كما ترى؟

قال الحكيم:

• بل هم الذين علموني معتقداتي، هم الذين جعلوني أومن بالانسان وبالغد الذى يبدأ الآن، وهم الذين فرضوا على النقلة من "مطبباتي" إلى إنسان يضع خبرته وعواطفه مع التطور مهما كلفه ذلك من جهد.

.....

.....

قال الفتى:

-إذن مازال الرجل برغم كل هذه المعاناة مؤمناً بالحق، ساعياً إليه بالرغم من كل ما جرى

قال الحكيم:

- نعم وإن كان الطريق شاقاً وطويلاً، إلا أن الإنسان الذى يرفض الزيف حتى بالمرض، لا يستسلم إلا بعد جولات وجولات، ونادراً ماتكون الضربة قاضية بعد ما عرف الطريق دون أن تصعقه الضربات الأولى.

قال الفتى:

- ولكن لماذا امتلأت حياتنا هكذا بالزيف، أنت تعرى فى حكاياتك كل الأشياء حتى تبدو الحياة أحياناً وكأنها تمثيلية سخيفة.

قال الحكيم:

- وبالرغم من ذلك فإن القليل الحقيقى فى هذه الحياة هو الذى يبقى، ولكن يبدو يا بنى أنه لابد من الكثير الغث حتى يظهر القليل الجوهر، والإنسان يلجأ إلى السيطرة والقوة وإلى العلم وإلى كل ما يغريه بالتفوق ولكنه لا يصل إلى جوهر الأشياء إلا بالصدق والسعى والكدح إلى الحق ناقداً معاوداً.

*** **

الذى يبدأ الآن، وهو الذين فرضوا على النقلة من "مطبباتي" إلى إنسان يضع خبرته وعواطفه مع التطور مهما كلفه ذلك من جهد

إن القليل الحقيقى فى هذه الحياة هو الذى يبقى، ولكن يبدو أنه لابد من الكثير الغث حتى يظهر القليل الجوهر

الإنسان يلجأ إلى السيطرة والقوة وإلى العلم وإلى كل ما يغريه بالتفوق ولكنه لا يصل إلى جوهر الأشياء إلا بالصدق والسعى والكدح إلى الحق ناقداً معاوداً

مؤسسة العلوم النفسية العربية

Arab Foundation Of Psychological Sciences

<http://arabpsynet.com/>

<http://www.arabpsyfound.com/>

أصـ داراتـ مكتبيـة

السلسلة المكتبية "نفسانـيـيـي"

"الكتـابـ العربـيـي لعلوم وطبـ النفس"

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

*** **

السلسلة المكتبية "وفـيـ انفسـمـ"

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBFiAnfosikom.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=17&controller=category&id_lang=3